أحمـــد الـكاشف

١٨٧٨ — ١٩٤٨

من الرعيل الأول من شـعراء الوطنية ، ولد سنة ١٨٧٨ بالقرشية من بلاد مركز السنطة غربية ، وهو ابن المرحوم ذو الفقار الـكاشف ، وجدُّه من ضباط الجيش المصرى الذين خاضوا غمار المعارك فى عهد محمد على ، تلقى علومه الأولية فى منزل والده بالقرشية ، ثم التحق بمدرسـة الأقباط الابتدائية بطنطا حتى استوفى دراسته ، ثم عاد إلى بلدته وأقام فيها ، ومالت نفسه منذ صباه إلى الشعر والأدب ، وكان الشعر طبيعة له وسليقة ، فعكف على المطالعة وأكب على كتب الأدب ودواوين الشعراء المتقدمين يدرسها ويستوعبها ، فحاكاهم فى الأسلوب والبلاغة ، واتجهت نفسه إلى نظم الشعر فى المعانى الوطنية ، فجادت قريحته بشعر وطنى من الطراز الرفيع ، ووقف حياته على هذا اللون من الشعر ، وعاش عمره عيوفا أبيا ، معتكفا فى بلدته (القرشية) ، وفى ذلك يقول عن نفسه :

ولقد تحاشيتُ المدائنَ زاهـداً ... وبدوْت أطلب وحدةً وسكونا

لا أرتضى غـير الطبيعة مَأْنَساً ... والذكرَ كأساً والقريضَ خدينا

وله قصائد عصماء نظمها فى مختلف المناسبات ، وعبر فيها أبلغ تعبير عن أحاسيسه ومشاعره الوطنية ، وظل وفياً لمبادئه طول حياته ، وتألق شعره فى سماء الأدب والوطنية ، وبلغ الذروة فى هذا المجال .

اتفاقية السودان

قال عن اتفاقية السودان التى أكرهت مصر على إمضائها سنة ١٨٩٩ على أثر انتصار الجيش المصرى فى السودان :

انتصرنا وما الذى قد جنينا ... من النصر بعد طول العناء ؟
ما جنينا سوى (الوفاق) جزاءا ... إن هذا الوفاق شرّ جزاء
وإذا شارك الضعيف قويا ... فى منال فحظّه كالهباء

الجندى فى المعركة

وطنى أنت الحبيب الدائم ... لك فى قلبى المقام الأشرف
وغرامى بك طبعٌ لازم ... سرّنى أنى به متّصف

لك أسعى دائبا مجتهدا ... برجاء ثابت مقتدر
لا أبالى فى طريق أبدا ... طال ليلى أو تمادى سهرى

وطنى أفديك بالروح إذا ... مسّك الدهر بسوء لا يطاق
وأرى اللّذة فى دفع الأذى ... عنك بالنيران والبيض الرقاق

دمت يا نيل أبرّ الأنهر ... بنفوس كم رأت منك وفاء
دمت تجرى يا شبيه الكوثر ... مُهْدِىَ الوادى هناء ورخاء

دمت يا صحراء ميدان الجنود ... بين قطريك اللذين اتحدا
مظهرا اليأس من بيض وسود ... يضمن النصر لنا والسؤددا

قصيدته فى اللورد كرومر سنة ١٩٠٧

لما رحل اللورد كرومر عن مصر على أثر حادثة دنشواى ، شيّعه الكاشف بقصيدة ندّد فيها بطغيانه وجبروته ، قال :

أعيا عزائمكَ القضاء الأغلبُ وطوى صحيفتَكَ الزمان القُلَّبُ
أرأيت كيف يُفاجأ السبَّاق فى غاياته ويقاطَع المتـــــوثِّب
ولبثت تبدو فى زخارف مخلص للقوم تخفى ما اعتزمت وتحجب
غافلتهم حينـــــا فلم يتلفَّتوا إلاّ ونابك فيهم والمخلب

وذكر حادثة دنشواى وكيف فرح المصريون بإقصائه عن منصبه :

وختمت عهدك بالذى اهتزت له أركان (مكة) واستعاذت (يثرب)
وتنفس الصعداء شعبٌ حاملٌ هماً يضيق به الفضاء الأرحب
ماذا كسبتَ وأنت عنا راحلٌ إلاّ الجفاء وبئس هذا المكسب

يندر الإنجليز

وقال يخاطب الإنجليز ويندرهم سوء العاقبة :

قلدتم الرومان فى استعمارهم هلاّ ذكرتم منتهى الرومان ؟
اليوم سؤددكم وسؤددنا غدا كم أدرك المتمادى المتوانى
رحماكم فينا لنذكركم إذا دار الزمان وحالت الحالان
إنا لنرجو من بنينا عُدَّةً لا عُدَّةَ الجـــيران والضيفان

يندد بوزارة مصطفى فهمى

قال فى ابريل سنة ١٩٠٨ يدعو وزارة مصطفى فهمى إلى الاستقالة ، وكانت بغيضة إلى الشعب :

أفى كل يوم يشهد النيل نابغا يعيش فنرجوه ويُقضَى فنجزع[1] ؟
وليس لكم فى موسم الحىّ مظهر وليس لكم فى مأتم الميت مفزع

---

(١) يشير إلى مصطفى كامل وقد توفى فى فبراير سنة ١٩٠٨ .

لقد سئمت تلك الكراسئ مكثكم ... فهلا شعرتم وهى تشكو وتصرع[1]

وهلاّ اعتزلتم منصباً لا ينيلكم ... من الأمر إلّا أن تذلّوا وتخضعوا ؟

أخاف عليكم أن تموتوا وأنتم ... أضر من العادى علينا وأشنع

فإن شئتم أن يعفوَ النيل عنكم ... ويكبركم أبناء مصر ويرفعوا

فخلّوا وزارات البلاد لأهلها ... إذا أرعد الجبار لم يتزعزعوا

إذن لرأيتم ما رأى من كرامة ... ومرحمة ذاك الشهيد المشيّع[2]

يمجد الفلاح ويمدحه

وقال يمدح (الفلاح المصرى) :

إذا استبقيتُ فى الدنيا حبيبا ... فخير أحبّتى فلاحُ مصرَ

كريم يملأ الوادى ثراه ... ولا يَلْقَى سوى الإجحاف أجرا !

فقيرٌ ما أراه شكا افتقارا ... ولو يُجزى على تعب لأثْرَى

فمحراثٌ يشقُّ الأرض عندى ... ويخرج من ثراه الحصب تبرا

كسيف فى يد الجندى لاقى ... به جيشا وحصْنا مُشْمخرًّا

صلته بمصطفى كامل

كان الكاشف صديقا ونصيرا لمصطفى كامل ، وكان لدعوة الزعيم وتعاليمه صداها فى قصائده ، وكان مصطفى يقدره ويعجب به ويسميه (شاعر الغربية النابغة) ، وكثيرا ما كان هو يردد كلمات مصطفى كامل ومعانيها ويصوغها فى قالب شعرى رفيع .

قال عن صلة الخطابة بالشعر :

ولئن هززت العالمين فإن من ... تلك الخطابة هذه الأشعارا

---

(١) مكثت وزارة مصطفى فهمى تتولى الحكم ثلاثة عشر عاما من نوفمبر سنة ١٨٩٥ إلى نوفمبر سنة ١٩٠٨ ، وكان عهدها خضوعا وتسليما للاحتلال البريطانى .

(٢) يشير إلى مصطفى كامل .

وقال يردد كلمة مصطفى كامل (لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا) :

لو كنتُ فى الخلد أو فى غيره ملكا ... وددت لو أننى فى مصر إنسان !

وقال فى محاربة اليأس :

وما معنى القنوط وأنت حىٌّ ... وما معنى القنوط مع الحياة ؟

وقال فى قيمة الاستقلال :

إن البلاد بلا استقلال صاحبها ... قَفْرٌ لديه وإن أصبحن جنات

ولما مات الزعيم رثاه الكاشف بمرثية رائعة بلغت نحو مائة بيت ، قال فيها :

لهفى عليك وقد رحلت اليوم لم ... تدرك لغرسك فى البلاد ثمارا

إلى أن قال يشير إلى الرحلة التى كان يعتزم الزعيم القيام بها فى الشرق :

لهفى وما لاقتك (يثرب) ضيفها ... وخطيبها المسترسل المكثارا

لهفى عليك ولم تسر متفقدا ... فى الهند إخوانا لمصر حيارى

لهفى ولم تنقل من اليابان ما ... يهب البلاد حضارة وعمارا

قد كنت مزمع هجرة لو قدرت ... قربت أعوانا لمصر كبارا

وجمعت بين السابقين وأمة ... مهضومة تتبع الآثارا

ثم يستنكر على وزراء مصر وقتئذ تخلفهم عن تشييع جنازة الزعيم خشية إغضاب الإنجليز ، قال :

ويل الذين تخلّفوا عن مشهد ... مَشَت الملائك حوله إكبارا

هل يعرضون ترفُّعا وتكبُّرا ... أم يسكنون تهيُّبا وحذارا ؟

ثم يصف احتشاد الأمة يوم تشييع الجنازة قال :

يا قائد الأبطال هذا جيشك الـ ... جرّار فانظر جيشك الجرارا

يوم كيوم الحشر ضمّهم وكم ... رحّبت فى أرب لهم مضمارا

فلئن بكوا فلقد بكيتهم وهم ... غرباء فى أوطانهم وأسارى

أو يحملوك على رؤوسهم فقد أصعدتهم فوق النجوم فخارا

وختم مرثيته بقوله :

أشهدتْ مصر على علاك ونيلها وصعيدها والنَّبْت والأحجارا
لو لم تسل قطع النفوس لشيدوا منها لك التمثال والتذكارا
ما مات من ورثت منـــاد أمة تجرى على منهاجه استمرارا

يحمل على سياسة الوفاق ، ويعاتب الخديو عباس الثانى

فى سنة ١٩٠٩ كانت سياسة الوفاق بين الخديو عباس الثانى و إنجلترا تسيطر على الجو السياسى فى مصر ، وكان هدف هـذه السياسة محاربة الحركة الوطنية ، و بدت مظاهر هذه السياسة فى تنكر الخديو للكفاح الشعبى ومناصرته للاحتلال وسياسته

نظم الكاشف هذه القصيدة سنة ١٩٠٩ يحمل فيها على سياسة الوفاق ويخاطب الخديو عباس الثانى ويعاتبه ويحذره مغبة الاستنامة إلى وعود الإنجليز ، وهى من أبلغ قصائده وأقواها :

أهـــلاً وسهلا بالوفاق ومرحباً لو كان فيه قضـــاء ما وعدوكا
إن كنتَ مشترطَ (الجلاء) فواجبٌ لك أن نودّهم كما ودّوكا
خير لنا أن يعلنوا البغضاء من أن يعلنوا ذا الموثق المفكوكا
حاستهم لتردّ عنـــا شبهة كم حاربوك بها وما حربوكا ؟
ما كان حُبًّا ما ترى لكنه كَتَمَ المخاتلُ سرّه المهتوكا
أرأيت كيف وشى بكل مهذب حر فكان الآفك المأفوكا ؟
اليومَ يشكونا إليـــك وما بنا غير الوفاء وفى غد يشكوكا
أعيا على أوهامه ووعيده هـــذا المراس فقام يستصفيكا

* * *

ماذا ترى فى غاصبين يسوءهم أنّ نحس وأننـــا نرجوكا
أتخاف شكوى المخلصين ولم تخف فيما مضى عدوان مضطهديكا ؟
باليتهم جعلوا القيود لكل ذى نظر وما انتقموا بأن حجبوكا
هل كان مُسْمِعُكَ السلامَ مشاغبا أم كان غير مشوّق رائيكا ؟
إنّا وإيّاك ابتلياهم فهـــل صَدَقوا الورى يوما وهل صدقوكا ؟
أَوْلى بهم وقد اتهمنا نصحهم أن لا تصـــدقهم إذا نصحوكا

* * *

أَرِهم مراسك قبل أن يستأسدوا إنّا لنخشاهم إذا أمنـــوكا
يا حبذا يوم (الجلاء) ولا نرى جندا يصول ولا دما مسفوكا

يخاطب اللورد كتشنر

فى سنة ١٩١١ عين اللورد كتشنر معتمداً لبريطانيا فى مصر ، وكان معروفا عنه الصَلَف والغطرسة ، فاستقبله الـكاشف بقصيدة رائعة تفيض وطنية وشمماً و إباء . قال فى مطلعها :

مهلاً لتمتحن الطريق خطاكا إن كلفوك لغـــاية إدراكا
فى مصر شعبٌ لا يُضام ومالك[1] متفرد لا يقبـــل الإشراكا
ما أنت حابس نيلها يوما ولا أهرامُها مهدومةٌ بقواكا
الله أكبرُ من حبوشك سطوة والدهر أبعد من مَدَى مَرْماكا

إلى أن قال :

هل يُذنب الجرحى إذا هم حاولوا دون الضوارى صيحةً وحراكا ؟
لسنا قطيعا غابَ راعيـــه كما كنا ولسْتَ الضيغم الفتـاكا
إن كنت طلق الوجه أو متجهما فالله يعلم منتهى نجـــواكا

(١) لعله يقصد بالمالك الأمة فهى مصدر السلطات ولا تقبل إشراكا فى سيادتها .

ولعل شأنك فى مشيبك غير ما أســـــلفته فى عنفوان صباكا

إلى أن قال :

واذكرْ لوادى النيل نعمته عسى تُعطِى بنيــه بعض ما أعطاكا
فإذا تجــاوزت الـكنانة فافتتح ما شاء عزمك واصعد الأفلاكا
فى غــير مصر ذرائعٌ ومواقع للمســـــتزيد مطامعا وعراكا
ولئن غضبت على الأباة فصبرهم أَوْلى وأجمــل من رجاء رضاكا
فاعرف لهم عذر الحريص إذا هم لم يســـلموا لك ما تنال يداكا

يبشر بالاشتراكية

فى أعقاب الحرب العالمية الأولى و بعد توقيع معاهدة الصلح فى فرساى (مايو سنة ١٩١٩) بين ألمـانيا والحلفاء ، نظم الـكاشف قصيدة عصماء تناول فيها شتى المعانى السياسية والوطنية . فمن قوله يبشر بالاشتراكية :

ســ للاشتراكيــة العُقبَى إذا شملت شَـتَّى الشعوب وجاراها المجارونا
فلا الـكثيرون ملـكاً للأقلّينا ولا الأقلون ملكٌ للـكثيرينا
ولا نرى واحداً ملأى خزائنُه بالمُغنِيات وآلافا يجوعونا
ولا نرى درة فى رأس محتـكم تهفـــو إليها قلوب المستظلينا

يندد بغدر الإنجليز وتنكرهم لمصر

وقال فى هذه القصيدة يندد بغدر الإنجليز وتنكرهم لمصر بعد أن عاونتهم فى تلك الحرب :

يا نائلين من الحرب العوان سوى ما كان منتظراً منهـا ومَظْنونا
نَجَوْتُم من رزاياها وما لـكُم لا تذكرون رفاقا غير ناجينا ؟
مَدُّوا الحديدَ لـكم فى كل مرحلة وذلَّلوا لـكمُ أطـوادها لينا[1]

---

(١) يشير إلى تسخير العمال المصريين فى مد السكك الحديدية فى سيناء إلى العريش أثناء الحرب العالمية الأولى .

ورابطوا لأعاديكم على هـدف ... وألحقوا النيلَ بالأردنّ ساقينا
وكم عتبنا على قـوم لأجلكم ... وهم إلينـا الأحبّاء المحبُّونا
وقلتمُ لم ينـل قومٌ بغـير دمٍ ... حريةً فبـذلناه مضحِّينا
ونال من دمنا فى عصر جندكم ... ما نال منه عداكم فى فلسطينا
فهل غسلتم خطايا الأبرياء به ... أم لا تزال خَطيئات البريئينا ؟
أتستهينون بالإنسان مائلكُمْ ... وتؤثرون عليه الماء والطينا ؟
هَبُوا حِمَى مصر والسودان مزرعةً ... أيرهق الأجـراء المستغِلُّونا ؟
ورثتم خصمَكم ميْتا وصاحبكم ... حيًّا ، ومازلتمُ فى الأرض تَسْعونا

* * *

جربتمو مصر فى تقييدها زمنا ... فجربوا مصر فى إطلاقها حينـا
أمنتمُ مصر فيما نال أمتكم ... فأى شىء على مصر تخافونا ؟
وقلتمُ : مصر للهند السبيل فإن ... ضاع السبيل أضعنا الهند ساهينا
أمَا إلى الهند إلا مصر من سُبُل ... ملأى شواهين أو ملأى سراحينا[1]
يهدد الهندَ أهـلوه وجيرته ... ولا يزال سبيل الهند مأمونا
خافوا سوانا وأعطونا أمانينا ... فما تضرُّكمُ يوماً أمانينـا
وإن فردا لذى ملك يبرّ به ... خيرٌ له من جماعات يثورونا
عن أى شىء لمصرٍ تسألون وقد ... هزّت مسائل مصر الهند والصينا[2]
بالسيف والنار يدعو الناس جندكمُ ... وتطلبون من الصرعى مجيبينا
ضَعُوا السلاسل عنا واطلبوا جدلا ... تروا أدلة مصر والبراهينـا
وربما قبلت دعـواكم دولٌ ... وأهل مصر أباةٌ غير راضينا

---

(١) السراحين : الذئاب .

(٢) يشير إلى تأليف الحكومة البريطانية اللجنة المعروفة بلجنة ملنر بدعوى البحث عن أسباب ثورة سنة ١٩١٩ والوسائل لملافاة هذه الأسباب .

لَيْتَ الذى حَرَمَ الألمانَ غايتَهم ... أخاف قوما سواهم لا يبالونا
وليت من زاد قوما قوةً وغنًى ... يرعى ويحرس أقواماً مساكينا
أتسفكون لمظلوم دماءكمُ ... وبالكلام على عانٍ تضنّونا ؟
وهل وفيتم بميثاق لمصر كما ... رعيتمُ العهد للبلجيك موفينا ؟
كم أعجبتكم من الأحرار عزّتُهم ... كانوا موالين أو كانوا معادينا
فهل ذكرتم وأكبرتم لنا غرَضا ... كما ذكرتم وأكبرتم (وشنطونا)[1]
كم أنجب البطلُ الأحداثَ عالية ... وأنجبَ الحدثُ الأبطال عالينا
كنا أمانة دهر عندكم وأتى ... وقتُ الأداء فهل أنتم مؤدُّونا ؟
وقد أقرَّ لمصرٍ كل منتصف ... بحق مصر فهل أنتم مقرونا ؟
وقد أصرت على استقلالها فعلى ... أى المآرب أصبحتم مصرينا ؟

يحذر قومه من التحالف مع بريطانيا

وفى هذه القصيدة (التى نظمها فى أواخر سنة ١٩١٩) يحذر قومه من فكرة التحالف بين مصر و بريطانيا . قال :

أوَاهبون لمصرٍ كل ما طلبت ... أم آخذون بمقدار ومُعطونا ؟
و إن رفعتم عن الوادى حمايتكم ... فما اسم لاحقها فيما تُسَمُّونا ؟
وإن تروا بدلا منها (محالفةً) ... فمن لنا بضمانات المساوينا ؟
إنا لنعجز عن حق الحليف وعن ... حق الشريك وأنتم تستزيدونا
وما مجاورة الأقوى وشركته ... إلا كما جاور العصفورُ شاهينا
ادعوا بنى مصر أندادا لكم ودعوا ... ولاة مصر ملوكا أو سلاطينا
وغادروها لأكفاء تجاربُهم ... تُغنيهم عن تكاليف المشيرينا

---

(١) جورج واشنطون محرر أمريكا ، وكان على رأس الجيش الوطنى الأمريكى الذى حارب الإنجليز وقد اعترفت بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة سنة ١٧٨٣ بعد أن انتهت الحرب بظفر الأمريكان .

يفدون مصرَ و إن شاكت منابتها ... و إن جرى نيلُها مهلا وغسلينا

و إن تدفق فى البيداء منصرفا ... و إن أقام وراء السّدّ مخزونا

أحرار مصر تباريهم حرائرُها ... ففاديات كما نرجو وفادينا

يندد بالاستعمار والطغيان

وفى هذه القصيدة يندد بالاستعمار والطغيان ويحملهما مسئولية الحرب الطاحنة التى كتوت الشعوب بنارها . قال :

أَمْضَى على الصلح قَوْمٌ يعبثون به ... وقد نأى عنه قومٌ غير مُمْضينا

تنفس الصعداء اليومَ بعضهُمُ ... ولم يزل بعضهُم أسوان محزونا

هل يعرف الدهر حربا كالتى شهدت ... تلك الثمانى يتلوها ثمانونا

صناعةٌ هى يعتزّ الملوك بها ... على العباد الأذلاّء المطيعينا

أم كانتِ المرضَ الموروثَ فى دولٍ ... أعْيتْ طبائعُها السّودُ المداوينا

ما كان أكبر آثام الأنام وما ... أذكى وأغلى الضحايا والقرابينا

أين الأسرَّةُ والتيجان أسألُها ... عن الملوك الطغاة المستبدّينا

الرافعين على الأشلاء دورهمُ ... الماثين دماً تلك الميادينا

جَنَتْ على ملكهم أسلاب غيرهم ... فهل تذكر هذا المستغلونا ؟

إلى أن قال :

دانت لعسكرِ (ولسونٍ) جبابرةٌ ... وأين ما صنعت آراء ولسونا[1] ؟

أغرى البرية باستقلالهم ونأى ... عنهم وهم بالذى أغرى يهيمونا

---

(١) ولسون الرئيس الأسبق لجمهورية الولايات المتحدة الأمريكية . يشير الشاعر فى هذا البيت والأبيات التالية إلى مبادئ ولسن التى اعلنها حين دخول امريكا الحرب إلى جانب بريطانيا وحلفائها وكيف تنكر لها بعد انتصار الحلفاء .

القوة سناد الحق

والحق فى كل عصر فاقدٌ سنداً ... إن لم يجد طلبا بالبأس مقرونا
فذو السلاح هو المرهوب جانبُه ... إذا انثنى الأعزل المغلوب مغبونا

أمل مصر فى بنيها

وختم هذه القصيدة الرائعة بقوله :

من لم ير اليومَ فى العمران موضعه ... لم يلق فى غده دنيا ولا دينا
ونحن أولى بأن نرعَى مواطننا ... نوفى المكاييل فيها والموازينا

مؤتمر لوزان

الحق للقوة

فى سنة ١٩٢٣ ترامت الأنباء عن مؤتمر لوزان بأنه يخذل مطالب الشعوب الشرقية فقال الكاشف يدعوها إلى القوة والتعاون فى مكافحة الاستعمار :

عودوا إلى البأس بعد اللين فهو لكم ... قد يفعل البأس مالا تفعل الخُطَبُ
لا حقّ للشرق إلاّ فى معاقله ... والحق منقلب فى الغرب مغترب

هل يملك الحكم فى (لوزان) خصمُكم ... ودونه فى سوى لوزان مضطرب
ما كان (كرزون) بالموفى لأمته ... ودون ما يبتغيه الهول والنّوَب

إلى أن قال :

إنى لأشفق من يوم على دُولٍ ... يقضى الحديدُ عليها فيه واللهب
ممالكَ الشرق والإسلام تذكرةً ... فالشرق أسوان والإسلام ينتحب
أين الأمانة والميثاق بينكم ... والبيت منتَهبٌ و (القدس) مغتصب
مجدُ الرجال على مقدار ما بذلوا ... من الدم الحرّ لا الدمع الذى سكبوا

ذودوا عن الوطن الغالى وعن شرف ... بَذْلُ النفوسِ له بعض الذى يجب
ومن أراد حيـــــاة العز طيبة ... فالأرض تحمله حرا أو الشُهُب

* * *

يا وافدَ الشرق جوّابا بلاســـند ... فى الغرب ينتظر العقبى ويرتقب
مصير كل قبيل بعـــــد جولته ... ماخطّه فى فروق الفتية النجب
فصل الخطاب لهم بعد القضـــاء غدا ... فى سائر الأمر جدّ القوم أو لعبوا
أين الســـــلام وأين العاملون له ؟ ... وأنه أمـــــل الأبرار والأرب
كل يمد وراء الغيب غايته ... وليس يعـــــلم ما يأتى به رجب

يتندر على عيد ١٥ مارس سنة ١٩٢٢

قال من قصيدة له فى مارس سنة ١٩٢٣ يتندر على عيد الاستقلال الذى جعلوا تاريخه يوم ١٥ مارس سنة ١٩٢٢ حيث أعلن الملك فؤاد استقلال مصر على أثر صدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ :

يا عيدَ الاستقلال أنْـــتَ له خيالٌ أم حقيقهْ ؟
للعِتقِ أم للـــــرقّ ما خطُّوه فى تلك الوثيقهْ
أبمهرجانٍ تحتفى الـ ـظَّمأَى وتحتفل الغربقه ؟
وتنـــال مصر مرامها من بعد ما سدُّوا طريقه[1]
يتكلفون[2] الصـــالحـ ـات لها وتأباها السليقه
إن أطلقوا أمس البـــلا د فمنهم ليســـت طليقه
وحديقـــة أضْحَتْ ولـ ـكن للغريب جنى الحديقه

---

(١) يشير إلى الإنجليز الذين وضعوا العقبات أمام مصر فى جهادها لتحقيق أهدافها .
(٢) الإشارة هنا أيضاً إلى الانجليز .

وإن استبدَّ بنيلها قَتَلَ الشقيقة بالشقيقه[1]

* * *

واحرَّ أكبادٍ إلى حريةِ الوادى مشوقه
هذا زكيُّ دَمِى لها أجد الرضا فى أن أُريقَه

* * *

أتخاذلُ زعماءُ مصـ ـرَ أمام هاوية عميقه ؟
أى العقاب أحق بالـ ـرجل الذى يؤذى رفيقة ؟
عاد الغريمُ لمصر يعـ ـبس بعد خدعته الدقيقه
فإن افترقتم عنده كنتم جميعكم فَريقَهْ

يحذر من نوايا الإنجليز ويدعو النواب إلى أداء واجباتهم

وقال من قصيدة له يوم ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ وهو اليوم الذى اجتمع فيه البرلمان الأول وكان سعد زغلول يتولى رآسة وزارة الأغلبية :

سلاما على حصنكم والعَلَمْ ورعْياً لندوتكم فى الأممْ
سلاما على ذلك الملتقىَ سلاما على ذلك المزْدَحم

إلى أن قال :

أمانة مستوثق معلنٍ لكم من سرائره ما كَتَمْ
وهذا غريمُكم[2] الملتوى تَجمّل بعد الأذى واحتشم
تولّى بغاياته عابسًا وعاودها فاتنا فابتسمْ
إلى أجلٍ أم إلى منتهى مراميه يلزمكم ما التزم

---

(١) مصر والسودان .
(٢) يقصد الاحتلال .

وهل ينجلى الأفق أم يرتمى بعاصفة بعد هذا النَّسَمْ
ولو كان يعرف عُقْبى النزا ع فى الحق من زمن لانحسم

وقال يدعو إلى التآخى وصفاء القلوب بين المواطنين :

وليس يقالُ فريقٌ هَفَا وليس يقال فريق ظَلَمْ
يضيع على مصر هذا النعيـ ـم إن لم يكن كل بيت أجم
وما أنا بالآمن المطمئنّ إلى المستعد الذى لم ينم[1]
أعد المَرابطَ فى المسلكين ومن مَلَك المسلكين اقتحم
وهل يترك الذئبُ عاداته وإن لَبسَ الذئب ثوب الغنم ؟

* * *

وداهية مرجف بالذى تعدّى به غيره فانهزم
وليس الذى قاله حجةً فقد أَلِفَ الناس هذا النَّغَم
وهل يستطيع اغتصاب الرقا ب مَن بِمراس النفوس اصطدم
وما صنعت بالمُغير القلا ع صُنْعَ إبائكم والشمْ
وحَسْبُكم شملكم عُدّةً وحسبكم صبركم معتصم
وما أحسن العفو من قادر إذا ما اشتهى حاقدٌ وانتقم

* * *

سيجلو عن الأرض جَبّارُها ويلبث فيها كريمُ الشِّيَمْ
ولا دولة لسوى المصلحين ولا مُلْك إلاّ لأهل الهمم

عيوب الحزبية

وقال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له حين اشتد التناحر بين الأحزاب ، يدعو إلى نبذ الخصام :

(١) يريد الانجليز .

وقفتُ وما أدرى أُعُدَّ حوادثاً ... تدور أمامى أم أعــدّ ذنوبا
تحملت عن قومى نصيباً من الأسى ... ولم أرجُ من أجر الجهاد نصيبا

وأمعنتُ فى غيب المقادير علّنى ... أرى فرجا للأمتين قريبــا
وليس بمغنٍ أمة خصبُ أرضها ... إذا لم يكن خلق الرجال خصيبا

* * *

تنازع قومى اليومَ جنداً وقادةً ... فلم أر إلّا سالبا وســـــليبا
مبادئُ أحزاب أرى أم منافعا ... توالت صنوفا بينهم وضروبا ؟

تقضّت حروب العالمين ولم أزل ... أرى بين أبناء البلاد حروبا
بقومى على قومى استعان غريبهم ... فصال شمالا واستطال جنوبا
فمن لهم بالمنفــذ الأمر حازما ... إذا لم يطيعوا نافذا وحسيبا
يردهم بعــد القطيعة والنوى ... رِفاقا كما يلقى العليل طبيبــا

قريتى

قصيدة نظمها بهذا العنوان سنة ١٩٣٦ ، يصور فيها حياته فى بلدته (القرشية) ويؤثرها على حياة المدن، قال :

جمعت فى العيد حولى سائر الآل ... وملتقى الآل حولى كلُّ آمالى
أبًا دعَوْنى وما لى فيهم ولد ... ولست للقوم غــير العمّ والخال
كأننى وهم فى الدار مطلع ... منهم على أمم شــتى وأجيال

إلى أن قال فى إيثاره الإقامة فى الريف :

أقمت فى الريف لا أشقى بطاغية ... من الرجال ولا لاهٍ وختّال
وعشت بالرطب من بقل وفاكهة ... فيما ملــكت وماء فيه سلســال
أطلت فيها اعتزال العالمين ولى ... بكل ناحية همى وأشــغالى
لقيت فى عِشْرة الجهال عاطفةً ... لم ألقها من رجال غير جهال

يحذر قومه من مفاوضات سنة ١٩٣٦

وعرج فى هـذه القصيدة بالمفاوضات التى كانت جارية وقتئذ بين مصر و بريطانيا وأسفرت عن معاهدة سنة ١٩٣٦ ، فحذر قومه من مغبة هذه المفاوضات ، قال :

ولم أزل بينهم للخصم متّقيـا دخائلا هى فى ذهـنى وفى بالى
أخشى على رسـلهم نيّاته وهمُ منه أمام جلاميـد وأدغال
وما تزال كما كانت سياسـتُه يدور فيها بأشكال وألوان
وموضع الند أرجو عنـده لهم لا موضع الصيد من أنياب رئبال
وقد يكون لهم من ضيقهم فرجٌ كما تُدَافع أهـوالٌ بأهوال

وظل الـكاشف فى قريته وعزلته ، وفيًّا لشعره ومبادئه ، إلى أن أدركته الوفاة فى ٢٩ مايو سنة ١٩٤٨ .